

مسألة أن مخالفهم أرجح دليلاً، أنهم لا يأنفون من الأخذ بقولهم، والانصياع إلى الحق، فإن الرجوع إلى الحق أولى من التماسي في الباطل، وهم في هذا يقتفون أثر الأئمة المجتهدين في تعاليمهم، فقد ورد عن الإمام الشافعي رحمه الله أنه قال: ((إذا قلت قولاً يخالف قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فاضربوا بقولي عرض الحائط وخذوا بقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم)) أو كما قال، وقد روي عن كل إمام من الأئمة ما يقارب هذا الكلام في أن قولهم إذا خالف شيئاً من كلام الرسول يجب رفضه، واتباع ما ورد عن الرسول.

وإن تعجب فعجب من أمة واحدة هذا قول أئمتها، وهي تدين بدين واحد وتعبد رباً واحداً، وتتبع نبياً واحداً، وتهتدي بكتاب واحد، ثم يكون بينها هذا التفاوت العظيم، وتتسع الشقة بين فرقها هذا الاتساع الشاسع، مع أن دينها دين الفطرة الذي لا تعقيد فيه ولا غموض، وكتابها واضح وقد تكفل الله بحفظه وصيانتها من التغيير والتبديل. ولكن هذا مصداق ما ورد عن الرسول من أن هذه الأمة (ستتبع سنن من كان قبلها من الأمم حذو القذة بالقذة) إلا أن علينا أن نسعى جهدنا في تقليل الخلاف، وأن يكون رائدنا الحق نتبعه أيا كان مصدره.

والطريق الوحيد الذي تصلح به هذه الأمة هو الرجوع إلى كتاب الله، وإلى ما صح من سنة رسوله (فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها) فهل لنا أن نرجع إلى أصل ديننا، وأن نستقي أوامره من مناهله العذبة سقط الشنيعة وراءنا طهرياً، وأن ننظر إلى حقائق الأمور دون ظواهرها، وأن نعرف الحق لأنه حق بالبرهان، لا لأنه قول فلان أو فلان وأن نعرف الباطل لأنه باطل بالبرهان لا لأنه قول فلان أو فلان؟!!

نرجو ذلك ونسأل الله أن يجمع كلمة المسلمين، وأن يوحد صفوفهم وأهدافهم إنه على ما يشاء قدير.